

دَلَالَاتُ التَّذْكِيرِ وَالتَّأْنِيثِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

عِنْدَ الْبِقَاعِيِّ (ت ٨٨٥هـ)

(الجزء الأول)

ر. وائل عبد الأمير المحرّبي
كلية الآداب - جامعة بابل

يتناول البحث، دلالات التذكير والتأنيث في القرآن الكريم عند أحد أعلام التفسير في القرن التاسع الهجري، وهو البقاعي. وقد اتخذ البحث منهجاً يقوم على خمسة محاور. قام المحوران الأول والثاني بوظيفة التمهيد، إذ عرّف الباحث في المحور الأول بالبقاعي وكتابه (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور). و تحدث في المحور الثاني عن التذكير والتأنيث وضوابط كل منهما في العربية. ثم انصبّ الكلام في المحورين الثالث والرابع على موضوع هذا البحث وقد درس الباحث في هذين المحورين أكثر من خمسين آية كريمة، وجّه البقاعي التذكير أو التأنيث فيها توجيهاً دلاليّاً جديداً.. ومن أجل الوقوف على جِدّة هذه الدلالات، رجع الباحث إلى أهم كتب معاني القرآن وتفسيره لتمييز موضع قراءة البقاعي الدلالية من قراءات اللغويين والمفسرين السابقين. ويأتي المحور الأخير متمثلاً بالخاتمة وفيها أهم النتائج التي توصل إليها الباحث. ونظراً لطول البحث آثرت المجلة تجزئته على قسمين. ننشر في هذا العدد جزءه الأول.

فهرس البعس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

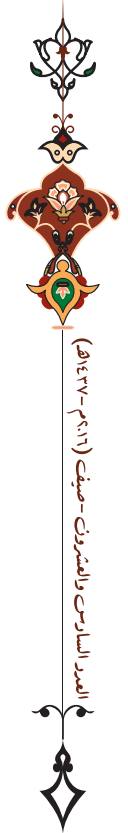
البَقَاعِيُّ وَكِتَابُهُ (نُظْمُ الدَّرَرِ):
 البَقَاعِيُّ: هُوَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ حَسَنِ
 الرُّبَاطِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي بَكْرٍ البَقَاعِيِّ
 الشَّافِعِيِّ، بَرَهَانَ الدِّينِ أَبُو الحَسَنِ، لُغَوِيٌّ
 وَمُفَسِّرٌ وَفَقِيهٌ وَمُحَدِّثٌ وَحَافِظٌ وَأَدِيبٌ
 وَعَرُوضِيٌّ^(١). وُلِدَ بِقَرْيَةِ خَرَبَةَ رُوْحَا مِنْ
 عَمَلِ البَقَاعِ^(٢) فِي سُورِيَةِ^(٣). وَمِنْهَا جَاءَتْ
 نِسْبَةُ (البَقَاعِيِّ) الَّتِي عُرِفَ وَاشْتَهَرَ بِهَا.
 أَخَذَ العِلْمَ عَنِ وَالِدِهِ، فَحَفِظَ القُرْآنَ
 الكَرِيمَ، وَدَرَسَ الفِقْهَ وَعُلُومَ الدِّينِ.
 وَرَحَلَ البَقَاعِيُّ إِلَى مَدِينَةِ القُدْسِ، سَنَةَ
 (٨٣٢ هـ) طَلَبًا لِلْعِلْمِ، وَدَرَسَ عَلَى
 أَيْدِي عُلَمَائِهَا، وَمِنْهُمْ الشَّيْخُ العِزُّ بْنُ
 عَبْدِ السَّلَامِ المَقْدِسِيِّ (ت ٨٤٦ هـ)، ثُمَّ
 انْتَقَلَ إِلَى مَدِينَةِ القَاهِرَةِ، وَأَخَذَ فِيهَا عَنِ
 ابْنِ حِجْرِ العَسْقَلَانِيِّ (ت ٨٥٢ هـ) ثُمَّ

رَحَلَ مَعَ أُسْتَاذِهِ العَسْقَلَانِيِّ إِلَى مَدِينَةِ
 حَلَبِ سَنَةَ (٨٦٣ هـ)، فَسَمِعَ مِنْ عُلَمَائِهَا،
 كَمَا ارْتَحَلَ إِلَى مُدُنٍ أُخْرَى طَلَبًا لِلْعِلْمِ
 مِنْهَا: دِمَشْقَ وَالْقُدْسَ وَالْحَلِيلَ وَحِمَّصَ
 وَالطَّائِفَ وَالْمَدِينَةَ المُنَوَّرَةَ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى
 مَدِينَةِ القَاهِرَةِ^(٤)، وَبَعْدَهَا عَادَ إِلَى دِمَشْقَ
 حَيْثُ تُوِّفِيَ لَيْلَةَ السَّبْتِ الثَّامِنِ عَشَرَ مِنْ
 رَجَبِ سَنَةِ (٨٨٥ هـ)^(٥).

وَقَدْ تَرَكَ تَرَاثًا عِلْمِيًّا مَهْمًا، يَتِمَثَّلُ فِي
 مَا خَلَّفَهُ لَنَا مِنْ كُتُبٍ قِيَمَةٌ، تَدُلُّ عَلَى عُلُوِّ
 كَعْبِهِ وَطُولِ بَاعِهِ فِي عُلُومِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ
 وَتَفْسِيرِ القُرْآنِ الكَرِيمِ، وَقَدْ وَصَفَهُ
 الشُّوْكَانِيُّ (ت ١٢٥٠ هـ) بِأَنَّهُ: ((بَرَعَ فِي
 جَمِيعِ العُلُومِ وَفَاقَ الأَقْرَانَ، ...، وَأَنَّهُ
 مِنَ الأَثَمَةِ المَتَّقِينَ المَتَّبَحِّرِينَ فِي جَمِيعِ
 المَعَارِفِ)). وَمِمَّا يَشْهَدُ لَهُ بِهَذِهِ المَنْزِلَةِ
 تَصَانِيفُهُ الكَثِيرَةُ، وَمِنْهَا: نُظْمُ الدَّرَرِ فِي

(١) ينظر: الضوء اللامع: ١ / ١٠١، نظم
 العقيان: ٢٤، وكشف الظنون: ٢ / ١٩٦٢،
 والبدر الطالع: ١ / ١٩، والأعلام: ١ /
 ٥٦، ومعجم المؤلفين: ١ / ٧١.
 (٢) ينظر: الضوء اللامع: ١ / ١٠١، طبقات
 المفسرين للأذنه وي: ٣٤٧، ومعجم
 المؤلفين: ١ / ٧١.
 (٣) ينظر: الأعلام: ١ / ٥٦.

(٤) ينظر: الضوء اللامع: ١ / ١٠١ - ١٠٢،
 ونظم العقيان: ٢٤، والبدر الطالع: ١ /
 ٢٠.
 (٥) ينظر: الضوء اللامع: ١ / ١٠٧، وديوان
 الإسلام: ١ / ٢٥٤، والبدر الطالع: ١ /
 ١٩، والأعلام: ١ / ٥٦، ومعجم المؤلفين:
 ١ / ٧١.



تَنَاسُبِ الْآيَاتِ وَالسُّورِ، وَمَصَاعِدِ النَّظْرِ لِلإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السُّورِ، وَالْقَوْلِ الْمَفِيدِ فِي أَصُولِ التَّجْوِيدِ، وَسِرِّ الرُّوحِ، وَعُنُونِ الزَّمَانِ فِي تَرَاجُمِ الشُّيُوخِ وَالْأَقْرَانِ، وَالنَّكْتُ عَلَى شَرْحِ أَلْفِيَةِ الْعِرَاقِيِّ، وَدِيْوَانِ شِعْرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ^(٦).

وَيَدْرُسُ هَذَا الْبَحْثُ -إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى- دَلَالَاتِ التَّذْكِيرِ وَالتَّأْنِيثِ فِي أَحَدِ كُتُبِ الْبِقَاعِيِّ، وَهُوَ كِتَابُهُ الْمَسْمِيُّ بِنَظْمِ الدَّرَرِ الَّذِي حَظِيَ بِمَكَانَةٍ مُتَمَيِّزَةٍ فِي تَرَاثِ هَذَا الْعَالَمِ؛ لِأَنَّهُ تَضَمَّنَ خُلَاصَةَ فِكْرِهِ وَعُصَاةَ عِلْمِهِ. وَقَدْ نَبَّهَ بَعْضُ مَنْ تَرَجَّمَ لَهُ عَلَى عِنَايَةِ هَذَا الْكِتَابِ بِأَسْرَارِ التَّعْبِيرِ الْقُرْآنِيِّ؛ فَقَدْ وَصَفَهُ حَاجِي خَلِيفَةَ (ت

١٠٦٧هـ) بِالْقَوْلِ: ((وَهُوَ كِتَابٌ لَمْ يَسْبِقْهُ إِلَيْهِ أَحَدٌ، جَمَعَ فِيهِ مِنْ أَسْرَارِ الْقُرْآنِ، مَا تَتَحَيَّرُ مِنْهُ الْعُقُولُ))^(٧). وَأَشَارَ الشُّوكَانِيُّ إِلَى قِيَمَةِ هَذَا الْكِتَابِ، وَمَا يَمْتَّازُ بِهِ مِنْ اسْتِيعَابِ لِلْعِلْمِ وَكَشْفِ لِلْمُشْكَلَاتِ

(٦) نظم العقيان: ٢٤، وطبقات المفسرين للأدنه وي: ٣٤٨، والأعلام: ١ / ٥٦، ومعجم المؤلفين: ١ / ٧١، وكشف الظنون: ٢ / ١٩٦٢.

(٧) كشف الظنون: ٢ / ١٩٦٢.

الَّتِي لَا يَجِدُ لَهَا جَوَابًا شَافِيًا فِي كَثِيرٍ مِنَ الْكُتُبِ؛ قَالَ: ((وَمَنْ أَمَعَنَ النَّظَرَ فِي كِتَابِ الْمَتْرَجِمِ لَهُ فِي التَّفْسِيرِ الَّذِي جَعَلَهُ فِي الْمُنَاسَبَةِ بَيْنَ الْآيِ وَالسُّورِ عَلِمَ أَنَّهُ مِنْ أَوْعِيَةِ الْعِلْمِ الْمَفْرُطِينَ فِي الذِّكَاةِ الْجَامِعِينَ بَيْنَ عِلْمِي الْمَعْقُولِ وَالْمَنْقُولِ، وَكَثِيرًا مَا يُشْكَلُ عَلَيَّ شَيْءٌ فِي الْكِتَابِ الْعَزِيزِ فَأَرْجِعُ إِلَى مُطَوَّلَاتِ التَّفَاسِيرِ وَمُخْتَصَرَاتِهَا فَلَا أَجِدُ مَا يَشْفِي وَأَرْجِعُ إِلَى هَذَا الْكِتَابِ فَأَجِدُ مَا يُفِيدُ فِي الْغَالِبِ))^(٨).

التَّذْكِيرُ وَالتَّأْنِيثُ فِي الْعَرَبِيَّةِ: يَرَى اللُّغَوِيُّونَ الْعَرَبُ أَنَّ التَّذْكِيرَ أَصْلٌ وَالتَّأْنِيثَ فَرْعٌ عَنْهُ، وَلِذَا احْتَجَّ هَذَا الْفَرْعُ إِلَى عِلَامَةٍ^(٩). وَعِلَامَةُ التَّأْنِيثِ فِي الْعَرَبِيَّةِ عَلَى

(٨) البدر الطالع: ١ / ٢٠.

(٩) جاء في: كتاب سيبويه: ٣ / ٢٤١: ((وإنما كان المؤنث بهذه المنزلة ولم يكن كالمذكر لأن الأشياء كلها أصلها التذكير ثم تختص بعد، فكل مؤنث شيء، والشيء يذكر، فالتذكير أول))، وفي: البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث: ٦٥: ((أعلم أن المذكر أصل للمؤنث))، وفي: مفاتيح الغيب للرازي: ٦ / ٤٨١: ((أن الذكورة أصل والتأنيث فرع في اللفظ وفي المعنى أمّا في اللفظ فلأنك تقول: قائم. ثم تريد التأنيث فتقول: قائمة. فاللفظ الدال على



ذَلِكَ فِي بَعْضِ الْأَلْسِنَةِ، فَيَعْبَرُ عَنْ بَعْضِ
الموجودات بالألفاظ التي أشكلها أشكال
مؤنثة وعن بعضها بالتالي أشكلها أشكال
مذكّرة. وفي بعض الألسنة ليس يُلفى فيه
للمذكّر والمؤنث شكل خاص، كمثّل ما
حكّي أنّه يُوجد في لسان الفرس. وهذا
يُوجد في الأسماء والحُرُوف. وقد يُوجد
في بعض الألسنة أسماء هي وسط بين
المذكّر والمؤنث، على ما حكّي أنّه يُوجد
كذلك في اليونانية^(١٢).

المذكّر وأنواعه:

المذكّر، بعبارة القدماء، هو ((ما خلا
من علامة التأنيث، لفظاً وتقديراً))^(١٣)،
أو هو على نحو أكثر تفصيلاً ((ما خلا
من العلامات الثلاث: التاء والألف
والياء، في نحو غُرْفَةٌ وَأَرْضٌ وَحُبْلٌ وَحَمْرَاءُ
وهدي))^(١٤). وهو بعبارة المحدثين ((ما

(١٢) تلخيص الخطابة: ١١٣. وينظر: البلغة في
الفرق بين المذكر والمؤنث، للأبباري (قسم
الدراسة): ٣٩، والمذكر والمؤنث، لابن
الستري الكاتب (قسم الدراسة): ١٦.
(١٣) البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث: ٦٥.
وينظر: المذكر والمؤنث لابن الستري: ٤٩.
(١٤) المفصل في صنعة الإعراب: ٢٤٧. وينظر:
التعريفات: ٢٠٨، والتوقيف على مهمات

ثلاثة أشكال، هي: تاء التأنيث كفاطمة،
وَأَلِفُ التَّأْنِيثِ الْمُقْصُورَةُ كَسَلْمَى، وَأَلِفُ
التَّأْنِيثِ الْمُدَوَّدَةُ كَحَسَنَاءَ.

وقد درّس اللغويون التذكير والتأنيث
في كلام العرب فقسّموا المذكر على أنواع،
والمؤنث على أنواع أيضاً؛ ذلك أنّ التذكير
والتأنيث يكونان في الكائنات الحيّة،
لأنّ الجنس يميّزها، ومن ثمّ حمل الجهاد
عليها^(١٥)؛ فكان عند العرب من الجهاد
ما هو مُذكّر ومنه ما هو مؤنث، وذلك
عن طريق الوضع والاصطلاح^(١٦)؛ قال
ابن رشد: ((والتذكير والتأنيث في المعاني
إنما يُوجد في الحيوان، ثمّ قد يتجوّز في

المذكّر هو الأصل، والدال على المؤنث
فرع عليه، وأما في المعنى فلأنّ الكمال
للدكّور والنقصان للإناث، فلهذا السبب
متى اجتمع التذكير والتأنيث كان جانب
التذكير مغلّباً)). وينظر: شرح الكافية
الشافية: ٤ / ١٧٣٣، وشرح التصريح:
٤٨٧ / ٢.

(١٥) ينظر: البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث
(قسم الدراسة): ٢٨.
(١٦) ينظر: المفصل في صنعة الإعراب: ٢٤٧،
وشرح المفصل لابن يعيش: ٣ / ٣٥٧،
ومعجم المصطلحات النحوية والصرفية
(سمير نجيب اللبدي): ٨٥.



يَصْحُحُ أَنْ تُشِيرَ إِلَيْهِ بِقَوْلِكَ: (هَذَا) كَرَجُلٍ
وَحِصَانٍ وَقَمَرٍ وَكِتَابٍ^(١٥).
وَالْمَذْكُرُ، عِنْدَ الْقُدَمَاءِ، عَلَى نَوْعَيْنِ،
هُمَا:

الْمَذْكُرُ الْحَقِيقِيُّ: وَهُوَ الَّذِي لَهُ أُنْثَى مِنْ
جِنْسِهِ، مِنَ النَّاسِ أَوْ الْحَيَوَانِ، مِثْلُ: زَيْدٍ،
وَالرَّجُلِ، وَالْجَمَلِ^(١٦).
وَالْمَذْكُرُ غَيْرُ الْحَقِيقِيِّ أَوْ الْمَجَازِيِّ: وَهُوَ
مَا لَمْ يَكُنْ لَهُ أُنْثَى مِنْ جِنْسِهِ، وَإِنَّمَا حُمِلَ عَلَى
الْمَذْكُرِ الْحَقِيقِيِّ، مِثْلُ: الْبَدْرِ، وَالْجِدَارِ،
وَالْعَمَلِ^(١٧).

وَيُورِدُ الدَّارِسُونَ الْمُحَدِّثُونَ لِلْمَذْكُرِ
أَنْوَاعًا أُخْرَى، مِنْهَا: الْمَذْكُرُ الْحُكْمِيُّ أَوْ
الْمَكْتَسَبُ، وَهُوَ مَا اكْتَسَبَ التَّذْكَيرَ مِنْ
إِضَافَتِهِ إِلَى اسْمٍ مُذَكَّرٍ، كَمَا اكْتَسَبَتْ (إِنَارَةٌ)

التعاريف: ٣٠١، ودستور العلماء: ٣/
١٦٧.

(١٥) جامع الدروس العربية: ١ / ٩٨. وينظر:
شذا العرف في فن الصرف: ٧٣.

(١٦) ينظر: البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث:
٦٥، والمعجم المفصل في المذكر والمؤنث:
٦١.

(١٧) ينظر: البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث:
٦٥، والمعجم المفصل في المذكر والمؤنث:
٦١.

التَّذْكَيرَ مِنْ إِضَافَتِهَا إِلَى (العقل) فِي قَوْلِ
الشَّاعِرِ^(١٨):

إِنَارَةُ الْعَقْلِ مَكْسُوفٌ بِطَوْعِ هَوَى
وَعَقْلٌ عَاصِي هَوَى يَزْدَادُ تَنْوِيرًا
وَمِنْ أَنْوَاعِهِ أَيْضًا: الْمَذْكُرُ تَأْوِيلًا وَهُوَ
الْمُؤنَّثُ الَّذِي اكْتَسَبَ التَّذْكَيرَ بِتَفْسِيرِهِ
بِمَذْكُرٍ، مِثْلُ: ثَلَاثَةٌ أَنْفُسٌ، بِتَأْوِيلِ النَّفْسِ
بِالرَّجُلِ. وَهَذَانِ النَّوْعَانِ مِمَّا دَرَسَهُ
الْقُدَمَاءُ فِي بَابِ الْإِضَافَةِ أَوْ تَحْتَ ظَاهِرَةِ
اِكْتِسَابِ الْمُؤنَّثِ التَّذْكَيرِ^(١٩).

المُؤنَّثُ وَأَنْوَاعُهُ:

المُؤنَّثُ: بِعِبَارَةِ الْقُدَمَاءِ ((مَا كَانَتْ
فِيهِ عِلَامَةٌ التَّأْنِيثِ، لَفْظًا أَوْ تَقْدِيرًا))^(٢٠)،
وَهُوَ بِعِبَارَةِ الْمُحَدِّثِينَ ((مَا يَصْحُحُ أَنْ تُشِيرَ

(١٨) البيت لبعض المولدين في المقاصد
النحوية: ٣ / ٣٩٦، وبلا نسبة في: أوضح
المسالك: ٣ / ٨٨، وخزانة الأدب: ٥ /
١٠٦، وينظر: المعجم المفصل في شواهد
العربية: ٣ / ١٧٠.

(١٩) ينظر: أوضح المسالك: ٣ / ٨٨، ومغني
اللييب: ٦٦٥، وشرح الأشموني: ٢ /
١٣٩، وحاشية الصبان: ٢ / ٣٧٤.

(٢٠) البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث: ٦٥،
وينظر: التوقيف على مهمات التعاريف:
٣١٩، والمذكر والمؤنث بين اللفظ
والمعنى: ١٠.



مُعَامَلَةٌ الْأُنثَى مِنَ النَّاسِ أَوْ الْحَيَوَانِ،
وَلَيْسَ مِنْهَا))^(٢٦)، نَحْوُ: الْأَرْضِ وَالنَّارِ؛
وَمِنْ ثَمَّ فَهُوَ ((يَجْرِي فِي أَغْلَبِ اسْتِعْمَالَاتِهِ
الَلْفِظِيَّةِ عَلَى حُكْمِ الْمُؤنَّثِ الْحَقِيقِيِّ
فَيُؤنَّثُ لَهُ الْفِعْلُ أَحْيَانًا، وَكَذَلِكَ الصِّفَةُ
وَالْحَبْرُ))^(٢٧). وَيُقَسَّمُ الْقَدَمَاءُ الْمُؤنَّثُ غَيْرُ
الْحَقِيقِيِّ عَلَى نَوْعَيْنِ، أَحَدُهُمَا: الْمَقِيسُ
وَهُوَ مَا فِيهِ عِلْمٌ التَّأْنِيثِ لَفْظًا، مِثْلُ:
ذَاهِبَةٌ، وَبُشْرَى، وَحَمْرَاءُ، وَالْآخَرُ: هُوَ
غَيْرُ الْمَقِيسِ، وَهُوَ مَا خَلَا مِنْ عِلْمِ
التَّأْنِيثِ لَفْظًا، وَإِنْ كَانَتْ فِيهِ تَقْدِيرًا،
مِثْلُ: السَّاءُ^(٢٨).

وَمِنْ أَنْوَاعِ الْمُؤنَّثِ مَا يُسَمَّى بِالْمُؤنَّثِ
الَلْفِظِيِّ، وَهُوَ ((مَا فِيهِ عِلْمٌ التَّأْنِيثِ
لَفْظًا، نَحْوُ ضَارِبَةٍ، وَحُبْلَى، وَحَمْرَاءُ، أَوْ
تَقْدِيرًا، وَهُوَ التَّاءُ، نَحْوُ: أَرْضٌ، تَرَدَّهَا
فِي التَّصْغِيرِ، نَحْوُ: أَرِيضَةٌ))^(٢٩)، سِوَاءً

٣ / ٢٦٤، والمعجم المفصل في المذكر
والمؤنث: ٦٢.

(٢٦) جامع الدروس العربية: ١ / ٩٨.

(٢٧) النحو الوافي: ٢ / ٧٨.

(٢٨) ينظر: البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث:
٦٥.

(٢٩) التعريفات: ٢٣٧، وينظر: دستور العلماء:
٣ / ٢٦٤.

إِلَيْهِ بِقَوْلِكَ: (هَذِهِ) كَأَمْرَاءٍ وَنَاقَةٍ وَشَمْسٍ
وَدَارٍ))^(٢١). وَالْمُؤنَّثُ، فِي الْعَرَبِيَّةِ، عَلَى
أَنْوَاعٍ أَيْضًا، مِنْهَا:

الْمُؤنَّثُ الْحَقِيقِيُّ، وَهُوَ ((الَّذِي يَلِدُ
وَيَتَنَاسَلُ؛ وَقَدْ يَكُونُ تَنَاسُلُهُ مِنْ طَرِيقِ
الْبَيْضِ وَالتَّفْرِخِ كَالطُّيُورِ))^(٢٢)، أَوْ هُوَ
مَا دَلَّ عَلَى أَنْثَى مِنَ النَّاسِ أَوْ الْحَيَوَانِ
وَلَهُ مُذَكَّرٌ مِنْ جِنْسِهِ، نَحْوُ: الْمَرْأَةُ،
وَالنَّاقَةُ^(٢٣).

وَالْمُؤنَّثُ غَيْرُ الْحَقِيقِيِّ أَوْ الْمَجَازِيِّ،
هُوَ الَّذِي لَا يَلِدُ وَلَا يَتَنَاسَلُ، وَلَيْسَ لَهُ
مُؤنَّثٌ مِنْ جِنْسِهِ^(٢٤). وَمَصْدَرٌ تَأْنِيثُهُ
الْوَضْعُ وَالْإِصْطِلَاحُ^(٢٥)، فَهُوَ ((يُعَامَلُ

(٢١) جامع الدروس العربية: ١ / ٩٨، وينظر:
شذا العرف في فن الصرف: ٧٣.

(٢٢) النحو الوافي: ٢ / ٧٨، و المذكر والمؤنث
بين اللفظ والمعنى: ١٠.

(٢٣) ينظر: البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث:
٦٥، والتوقيف على مهمات التعاريف:

٣١٩، ودستور العلماء: ٣ / ٢٦٤، وجامع

الدروس العربية: ١ / ٩٨، والمعجم المفصل
في المذكر والمؤنث: ٦٢.

(٢٤) ينظر: البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث:
٦٥.

(٢٥) ينظر: التعريفات: ٢٣٧، والتوقيف على
مهمات التعاريف: ٣١٩، ودستور العلماء:



أَدَلَّ عَلَى مُؤَنَّثٍ كَفَاطِمَةَ، أَمْ عَلَى مُذَكَّرٍ كَحَمْرَةَ (٣٠).

وَمِنْ أَنْوَاعِهِ مَا يُسَمَّى بِالْمُؤَنَّثِ الْمَعْنَوِيِّ أَوْ التَّقْدِيرِيِّ، وَهُوَ ((مَا كَانَ دَالًّا عَلَى مُؤَنَّثٍ مُطْلَقًا، مَعَ خُلُوقِ لَفْظِهِ مِنْ عِلْمَةٍ تَأْنِيثٍ)) (٣١)، نَحْو: زَيْنَبُ، وَعَيْنُ، وَبَثْرُ.

وَمِنْهَا مَا يُسَمَّى بِالْمُؤَنَّثِ تَأْوِيلًا أَوْ الْمُؤَنَّثِ التَّأْوِيلِيِّ، وَهُوَ الْمَذَكَّرُ الَّذِي يُؤَوَّلُ بِمُؤَنَّثٍ لَهُ الْمَعْنَى نَفْسُهُ، كَالكِتَابِ؛ الَّذِي يُؤَوَّلُ بِالصَّحِيفَةِ، وَاللِّسَانِ؛ الَّذِي يُؤَوَّلُ بِالرَّسَالَةِ (٣٢).

وَمِنْ أَنْوَاعِهِ مَا يُسَمَّى بِالْمُؤَنَّثِ حُكْمًا أَوْ الْمُؤَنَّثِ الْحُكْمِيِّ، وَهُوَ الْمَذَكَّرُ الَّذِي اِكْتَسَبَ التَّأْنِيثَ مِنْ إِضَافَتِهِ إِلَى مُؤَنَّثٍ؛ نَحْوَ كَلِمَةِ: (كُلٌّ) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾

(٣٠) ينظر: جامع الدروس العربية ١ / ٩٨، والنحو الوافي ٢ / ٧٨.

(٣١) النحو الوافي: ٢ / ٧٨، وينظر: المعجم المفصل في المذكر والمؤنث: ٦٢، والمذكر والمؤنث بين اللفظ والمعنى: ٢١.

(٣٢) ينظر: النحو الوافي: ٢ / ٧٨، والمعجم المفصل في المذكر والمؤنث: ٦٣.

[سورة: ق: ٢١]، فَكَلِمَةً: (كُلٌّ) مُذَكَّرَةٌ، وَلَكِنَّهَا اِكْتَسَبَتِ التَّأْنِيثَ مِنَ الْمِضَافِ إِلَيْهِ: (نَفْسٍ) فَأَنَّ الْفِعْلَ لِتَأْنِيثِهَا (٣٣).

فِي ضَوَابِطِ التَّذْكِيرِ وَالتَّأْنِيثِ:

قَدْ يَتَبَادَرُ إِلَى الذَّهْنِ أَنَّ الْعِلَاقَةَ بَيْنَ: الْمَبْتَدَأِ وَخَبْرِهِ، أَوْ الْمُنْعُوتِ وَنَعْتِهِ، أَوْ الْفِعْلِ وَفَاعِلِهِ، مِنْ حَيْثُ التَّذْكِيرُ وَالتَّأْنِيثُ، هِيَ عِلَاقَةٌ مُطَابِقَةٌ؛ فَإِذَا كَانَ الْمَبْتَدَأُ مُذَكَّرًا كَانَ خَبْرُهُ مُذَكَّرًا أَيْضًا، وَإِذَا كَانَ الْمُنْعُوتُ مُؤَنَّثًا مَثَلًا كَانَ نَعْتُهُ مُؤَنَّثًا مِثْلَهُ أَيْضًا... وَهَكَذَا، غَيْرَ أَنَّ لِلغَةِ فِي بَابِ الْمَذَكَّرِ وَالْمُؤَنَّثِ مُرُونَةً وَسَعَةً، وَلَهَا قَوَاعِدٌ تَخْتَلِفُ عَنْ هَذَا التَّجْرِيدِ الْمُنطِقِيِّ. وَلَعَلَّ هَذَا هُوَ مَا دَعَا ابْنَ التَّسْتَرِيِّ الْكَاتِبَ (ت ٣٦١هـ) إِلَى وَصْفِ بَابِ الْمَذَكَّرِ وَالْمُؤَنَّثِ بِأَنَّهُ لَا يَجْرِي عَلَى قِيَاسِ مُطَّرَدٍ دَائِمًا؛ قَالَ: ((لَيْسَ يَجْرِي أَمْرُ الْمَذَكَّرِ وَالْمُؤَنَّثِ عَلَى قِيَاسِ مُطَّرَدٍ، وَلَا لِهَذَا بَابٌ يَحْضُرُهُمَا، كَمَا يَدَّعِي بَعْضُ النَّاسِ)) (٣٤).

(٣٣) ينظر: النحو الوافي: ٢ / ٧٨، والمعجم المفصل في المذكر والمؤنث: ٦٣.
(٣٤) المذكر والمؤنث لابن التستري: ٤٧.



حَتَّىٰ إِيَّاهُمْ قَالُوا: ((كُلُّ اسْمٍ لَيْسَ فِيهِ عِلْمُ التَّأْنِيثِ فَتُذَكِّرُهُ جَائِزٌ، كَالسَّمَاءِ، وَالْأَرْضِ، وَالشَّمْسِ، وَالنَّارِ، وَالْبَرْقِ، وَالْحَرْبِ، وَنَحْوِهَا. وَقَالَ الْفَرَّاءُ: الْعَرَبُ تَجْتَرِي عَلَى تَذْكِيرِ كُلِّ مَوْثٍ لَيْسَ فِيهَا عِلْمُ التَّأْنِيثِ)) (٣٧). وَقَدْ تَكَلَّمْتُ كُنْتُ الْمَذْكَرَ وَالْمَوْثَ وَالْمَعَاجِمَ الْعَرَبِيَّةَ بَيَانِ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ الَّتِي يَجُوزُ فِيهَا التَّذْكِيرُ وَالتَّأْنِيثُ، مَعَ التَّعْلِيلِ وَالتَّوَجِيهِ وَالِاسْتِشْهَادِ مِنْ فَصِيحِ كَلَامِ الْعَرَبِ. كَمَا تَنَاوَلَ اللُّغَوِيُّونَ الْقُدَمَاءُ أَيْضًا الصِّفَاتِ الَّتِي يَسْتَوِي فِيهَا الْمَذْكَرُ وَالْمَوْثُ؛ وَبَيَّنَّا أَنَّ هَذِهِ الصِّفَاتِ تُسْتَعْمَلُ، فِي الْعَرَبِيَّةِ، عَلَى صُورَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَدْخُلَهَا عَلَامَةُ التَّأْنِيثِ. وَقَدْ أَطْلَقَ بَعْضُ الدَّارِسِينَ الْمُحَدِّثِينَ عَلَى هَذَا النَّوعِ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ مُصْطَلَحَ: اللَّفْظِ الْمَحَايِدِ، وَهُوَ مُصْطَلَحٌ مَنقُولٌ مِنَ اللُّغَاتِ الْأُخْرَى (٣٨). وَقَدْ

وَيُمْكِنُنَا الْقَوْلُ إِنَّ هَذِهِ السَّعَةَ الَّتِي يَتَّصِفُ بِهَا بَابُ الْمَذْكَرِ وَالْمَوْثِ فِي الْعَرَبِيَّةِ تَرْجِعُ إِلَى أَمْرَيْنِ؛ الْأَوَّلُ: أَنَّ فِي الْعَرَبِيَّةِ مِنَ الْأَسْمَاءِ مَا يُذَكَّرُ وَيُؤَنَّثُ كَالدَّلْوِ وَالسَّكِينِ وَالسَّبِيلِ وَاللِّسَانِ وَالذَّرَاعِ وَالسَّلَاحِ، كَمَا أَنَّ فِيهَا مَا يَكُونُ لِلْمَذْكَرِ وَالْمَوْثِ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ فِيهِ عَلَامَةُ التَّأْنِيثِ كَالْحَيَّةِ وَالشَّاةِ وَالرَّبْعَةَ وَبَعْضَ الصِّفَاتِ الَّتِي يَسْتَوِي فِيهَا الْمَذْكَرُ وَالْمَوْثُ، وَغَيْرِهَا (٣٥). وَالْآخَرُ: يَتِمُّثَلُ فِي ضَوَابِطِ التَّذْكِيرِ وَالتَّأْنِيثِ فِي الْعَرَبِيَّةِ نَفْسُهَا؛ إِذْ يُوجَدُ فِيهَا نَوْعَانِ مِنَ الضُّوَابِطِ: النَّوعِ الْأَوَّلُ يُفَنِّنُ حَالَاتِ الْوُجُوبِ؛ أَيِ وُجُوبِ التَّذْكِيرِ أَوْ وُجُوبِ التَّأْنِيثِ. وَالنَّوعِ الثَّانِي مِنْ الضُّوَابِطِ: يَقَعُّدُ لِحَالَاتِ الْجَوَازِ؛ أَيِ جَوَازِ التَّذْكِيرِ وَالتَّأْنِيثِ، مَعَ تَرْجِيحِ أَحَدِهِمَا: أَيِ تَرْجِيحِ التَّذْكِيرِ أَوْ تَرْجِيحِ التَّأْنِيثِ، فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ.

لَقَدْ بَيَّنَّ الْقُدَمَاءُ أَنَّ بَعْضَ الْأَسْمَاءِ، فِي الْعَرَبِيَّةِ، يَجُوزُ تَذْكِيرُهَا وَتَأْنِيثُهَا (٣٦)،

لابن التستري: ٥١، والبلغة في الفرق بين

المذكر والمؤنث: ٨١ - ٨٤.

(٣٧) غريب الحديث للخطابي: ٣ / ٦٢٢.

(٣٨) ينظر: المدخل إلى علم اللغة، د. رمضان

عبد التواب: ٢٥١ - ٢٥٢، والمذكر

(٣٥) ينظر: جامع الدروس العربية: ١ / ٩٩.

(٣٦) ينظر: الكتاب: ٢ / ٩٢، والمذكر والمؤنث،



جَمَعَ الزَّمْحَشَرِيُّ (ت ٥٣٨هـ) الصِّفَاتِ
الَّتِي يَسْتَوِي فِيهَا الْمَذَكَّرُ وَالْمَوْثَّثُ،
مُشْتَرِطًا فِيهَا ظُهُورَ الْأَسْمِ؛ لِثَلَا يَقَعُ
لَبْسٌ فِي الْكَلَامِ بَيْنَ الْمَذَكَّرِ وَالْمَوْثَّثِ؛
قَالَ: ((وَيَسْتَوِي الْمَذَكَّرُ وَالْمَوْثَّثُ فِي
فَعُولٍ وَمِفْعَالٍ وَمِفْعِيلٍ وَفَعِيلٍ بِمَعْنَى
مَفْعُولٍ مَا جَرَى عَلَى الْأَسْمِ، تَقُولُ: هَذِهِ
الْمَرْأَةُ قَتِيلُ بَنِي فُلَانٍ وَمَرَّرْتُ بِقَتِيلِهِمْ.
وَقَدْ يُشَبَّهُ بِهِ مَا هُوَ بِمَعْنَى فَاعِلٍ، قَالَ
اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ
الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة: الأعراف: ٥٦]
وَقَالُوا: (ملحفة جديد)) (٣٩). وَقَدْ انْتَهَى
الدَّارِسُونَ إِلَى تَحْدِيدِ أَشْهَرِ هَذِهِ الْأَوْزَانِ
الَّتِي يَسْتَوِي فِيهَا الْمَذَكَّرُ وَالْمَوْثَّثُ عَلَى
التَّحْوِ الْآتِي:

١. فَعُولٍ بِمَعْنَى: فَاعِلٍ، نَحْوُ: صَبُورٍ،
بِمَعْنَى: صَابِرٍ، مِثْلُ: رَجُلٍ أَوْ امْرَأَةٍ
صَبُورٍ.
٢. مِفْعَالٍ، نَحْوُ: مِفْرَاحٍ؛ لِكَثِيرَةِ الْفَرَحِ
وَكَثِيرِهِ.
٣. مِفْعِيلٍ، نَحْوُ: مَنْطِيقٍ لِلرَّجُلِ الْبَلِيعِ،

وَالْمَوْثَّثُ بَيْنَ الْفِظِّ وَالْمَعْنَى: ٢١.

(٣٩) الفصل في صنعة الإعراب: ٢٤٩-٢٥٠.

وَالْمَرْأَةُ الْبَلِيعَةُ.

٤. مِفْعَلٍ، نَحْوُ: مِعْشَمٍ، بِمَعْنَى: جَرِيءٍ
وَشُجَاعٍ، لِلْمَذَكَّرِ وَالْمَوْثَّثِ؛ يُقَالُ:
رَجُلٌ أَوْ امْرَأَةٌ مِعْشَمٌ (٤٠).
٥. فَعِيلٍ، بِمَعْنَى: مَفْعُولٍ، نَحْوُ: قَتِيلٍ،
يُقَالُ: رَجُلٌ قَتِيلٌ وَامْرَأَةٌ قَتِيلَةٌ.
٦. فِعْلٍ، بِمَعْنَى: مَفْعُولٍ، نَحْوُ: ذَبْحٍ،
يُقَالُ: جَمَلٌ أَوْ نَاقَةٌ ذَبْحٌ.
٧. فَعْلٍ، بِمَعْنَى: مَفْعُولٍ، نَحْوُ: جَزْرٍ،
يُقَالُ: جَمَلٌ أَوْ نَاقَةٌ جَزْرٌ.
٨. الْمَصْدَرُ الْمُرَادُ بِهِ الْوَصْفُ، نَحْوُ:
عَدَلٍ، يُقَالُ: رَجُلٌ عَدْلٌ وَامْرَأَةٌ
عَدْلٌ (٤١).

تَذَكِيرُ الْفِعْلِ لِلْفَاعِلِ وَتَأْنِيثُهُ: دَرَسَ
الْقُدَمَاءُ أَحْكَامَ الْفِعْلِ عِنْدَمَا يُسْتَدُّ إِلَى
الْفَاعِلِ أَوْ عِنْدَمَا يُجَبَّرُ بِهِ عَنِ الْمَبْتَدَأِ أَوْ مَا
فِي حُكْمِهِ، وَقَدْ وَجَدُوا أَنَّ هَذِهِ الْأَحْكَامَ
تَتَّخِذُ ثَلَاثَ حَالَاتٍ، هِيَ: وَجُوبٌ

- (٤٠) ينظر: النحو الوافي: ٤ / ٥٩٢، والمعجم
المفصل في المذكر والمؤنث: ٧٨-٨٠.
- (٤١) ينظر: جامع الدروس العربية: ١ / ١٠٠،
والمعجم المفصل في المذكر والمؤنث: ٧٨-
٨٠، والمذكر والمؤنث بين اللفظ والمعنى:
٢٣.

التذكير، ووجوب التأنيث، وجواز الأمرين. ولا بد لنا، قبل عرض هذه الحالات، من أن نستحضر في أذهاننا أن القدماء كانوا يرون أن تاء التأنيث الساكنة التي تدخل على الفعل هي لتأنيث الفاعل وليست لتأنيث الفعل حقيقة، لأن الفعل لا يؤنث عندهم؛ قال العكبري (ت ٦١٦هـ): ((إنما دخلت تاء التأنيث الساكنة على الفعل لأن الغرض منها الدلالة على تأنيث الفاعل فقط لا الدلالة على تأنيث الفعل إذ الفعل لا يؤنث ولا تجد تاء تأنيث متحركة متصلة بآخر الفعل، وإنما ذلك في الأسماء مثل (قائمة) والحروف مثل (ربت) و (ثمت)) (٤٢).

وعلی الرغم من أن ((الأصل أن يؤنث الفعل مع الفاعل المؤنث ويذكر مع المذكر)) (٤٤)، فإن للفعل مع الفاعل من حيث التذكير والتأنيث، في العربية، ثلاث حالات، لخصها ابن جني (ت ٣٩٢هـ) بقوله: ((إن كان الفاعل مؤنثا جئت في الفعل بعلامة التأنيث تقول قامت هند وقعدت جمل فالتاء علامة التأنيث فإن كان التأنيث غير حقيقي كنت في إلحاق التاء وتركها مخيرا تقول حسنت دارك واضطربت

(٤٣) شرح الكافية الشافية: ٢ / ٥٩٥، وينظر:

شرح الأشموني: ١ / ٣٩٦.

(٤٤) الموجز في قواعد اللغة العربية: ٢١٥.

(٤٢) اللباب في علل البناء والإعراب: ١ /

